الغزوات النبوية الكبرى

(٤)

مواقف وعبر في غزوة خيبر

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام

ح عبد العزيز عبد الله الحميدي ، ١٤٣٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحميدي ، عبد العزيز عبد الله
مواقف وعبر في غزوة خيبر . / عبدالعزيز عبد الله الحميدي-مكة المكرمة ، ١٤٣٧هـ

..ص؛..سم
ردمك : ٥-١٦٢١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- غزوة خيبر أ.العنوان

ديوي ٢٣٩,٥ ١٤٣٧/٧٦٥٤

رقم الإيداع : ١٤٣٧/٧٦٥٤
ردمك: ٥-١٦٢١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

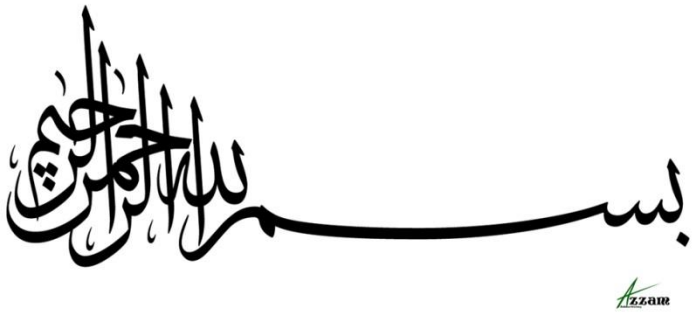
بسم الله الرحمن الرحيم
Azzam

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

أما بعد : فإن غزوة خيبر كانت بعد صلح الحديبية بما يقرب من شهرين، وكانت قوة اليهود في خيبر هي ثاني قوة تهدد أمن المسلمين في المدينة بعد قوة كفار مكة ، فكان صلح الحديبية قد هيأ الفرصة لغزو اليهود في خيبر، وقد نزلت الآيات في سورة الفتح بوعد رسول الله ﷺ والمسلمين بالنصر على اليهود في خيبر والظفر بغنائمهم، وذلك في قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح :١٥] يعني مغانم خيبر، وقوله تعالى ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨] يعني فتح خيبر، وقوله تعالى﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ [الفتح : ٢٠] يعني مغانم خيبر، وبهذه الوعود الكريمة في هذه الآيات كان الرسول ﷺ والمؤمنون واثقين من الانتصار على اليهود وفتح خيبر .

الخروج إلى خيبر وأخبار بعض الفقراء[1]

أخرج محمد بن عُمَر الواقدي أخبار غزوة خيبر بعدَّة أسانيد عن عدد من الشيوخ قالوا: قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية في ذي الحجة تمام سنة ست، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرَّم، وخرج في صفر سنة سبع إلى خيبر.

ثم ذكر خبر محاولة خروج المتخلفين عن الحديبية معه إلى أن ذكر بعض أخبار فقراء الصحابة وما حصل لهم من مشقة تأمين ما يلزمهم للخروج، فقال:وكان لأبي الشحم اليهودي عند عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي خمسة دراهم في شعير أخذه لأهله فلزمه، فقال: أجِّلني، فإني أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حقك إن شاء الله، إن الله عز وجل قد وعد نبيه خيبر أن يُغنمه إياها،وكان عبد الله بن أبي حدْرد ممن شهد الحديبية، فقال: ياأبا الشحم، إنا نخرج إلى ريف الحجاز في الطعام والأموال، فقال أبو الشحم–حسدًا وبغيًا -: تحسبُ أن قتال خيبر مثل ماتلقونه من الأعراب؟فيها – والتوارةِ – عشرةُ آلاف مقاتل!

قال ابن أبي حدرد: أي عدو الله! تخوفنا بعدوِّنا وأنت في ذمتنا وجوارنا؟ والله لأرفعنك إلى رسول الله! فقلت: يارسول الله، ألا

---

(١) خيبر مدينة تقع شمال المدينة على بعد ١٦٨كم .

تسمع إلى ما يقول هذا اليهودي؟وأخبرته بما قال أبو الشحم، فأُسكتَ رسولُ اللهﷺ ولم يرجع إليه شيئًا، إلا أني رأيت رسول الله ﷺ حرَّك شفتيه بشيء لم أسمعه، فقال اليهودي: يا أبا القاسم، هذا قد ظلمني وحبسني بحقِّي وأخذ طعامي! قال رسول الله ﷺ:«أعطه حقَّه ».

قال عبد الله: فخرجتُ، فبعت أحد ثوبيَّ بثلاثة دراهم، وطلبتُ بقية حقه فقضيته، ولبستُ ثوبي الآخر، وكانت عليَّ عمامةٌ فاستدفأت بها، وأعطاني سلمة بن أسلم ثوبًا آخر، فخرجت في ثوبين مع المسلمين، ونفلني اللهُ خيرًا، وغنمتُ امرأة بينها وبين أبي الشحم قرابةٌ فبعتها منه بمال.

وجاء أبو عبس بن جبر فقال: يارسول الله، ما عندنا نفقة ولا زاد ولا ثوب أخرجُ فيه، فأعطاه رسول الله ﷺ شُقَيْقةً سُنبُلانيةً [1]، فباعها بثمانية دراهم، فابتاع تمرًا بدرهمين لزاده وترك لأهله نفقةً درهمين، وابتاع بُردةً بأربعة دراهم.

---

(١) الشقيقة: تصغير شقة، وهي جنس من الثياب، وسنبلانية: أي سابغة الطول، سنبل ثوبه إذا أسبله وجره من خلفه أو أمامه، والنون زائدة، ويحتمل أن يكون منسوبًا إلى موضع، النهاية: ٢/ ١٨٤ – ٢٣١.

فبينما رسول الله ﷺ في طريق خيبر في ليلة مقمرة إذْ أبصر برجل يسير أمامه، عليه شيء يبرق في القمر كأنه في الشمس، وعليه بيضة، فقال رسول الله ﷺ:« من هذا »: فقيل: أبو عبس بن جبر، فقال رسول الله ﷺ: «أدركُوه!» قال: فأدركوني فحبسوني، وأخذني ما تَقَدّم وما تأخر، وظننت أنه قد نزل في أمرٌ من السماء، فجعلت أتذكر ما فعلت حتى لحقني رسول الله ﷺ، فقال:« مالك تَقَدّم النَّاس لا تسير معهم؟» قلت: يارسول الله، إن ناقتي نَجيبة، قال: «فأين الشقيقة التي كسوتك؟ » فقلت: بعتها بثمانية دراهم، فتزودت بدرهمين تمرًا، وتركت لأهلي نفقة درهمين، واشتريت بردة بأربعة دراهم، فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال:« أنت والله يا أبا عبس وأصحابك من الفقراء! والذي نفسي بيده لئن سلمتم وعشتم قليلاً ليكثرنَّ زادُكم، وليكثرنَّ ما تتركون لأهليكم، ولتكثرن دراهمكم وعبيدكم، وما ذاك بخير لكم! » قال أبو عبس: فكان والله ما قال رسول الله ﷺ[1].

فهذان الخبران وأمثالهما يدلان على شدة الفقر وانخفاض مستوى المعيشة عند الصحابة رضي الله عنهم، ومع ذلك استطاعوا أن

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٣٤ – ٦٣٦.

يقاوموا أحزاب العرب وأن يغزو البلاد المنيعة كخيبر.

إن الفقير الذي تتجاذبه هموم سداد الديون وتأمين المعيشة الضرورية له ولأهله لا يُنتظر منه–عادة- أن يسهم في أمور الجهاد والإصلاح بطاقة عالية ؛ لأنَّ أغلب طاقته مصروف لهمومه الخاصة، ولكن حينما يكون الإيمان بالله - تعالى – واليوم الآخر قويًّا واليقين راسخًا يتضاءل مفعول هموم الدنيا على النفس، ويكون الذي يفرض نفسه على الإنسان هو مبدؤه السامي الذي آمن به إيمانًا صادقًا قويًّا، فيأتي بالعجائب في خدمة هذا المجال وإن كان محملاً بالأعباء والأثقال.

وفي الخبر الأخير عبرة في إخبار النبيﷺ عمَّا سيكون في المستقبل؛ من انفتاح الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم، وقد كان ذلك حينما فتحت بلاد الفرس وبعض ممالك الروم، وهذه معجزة لرسول الله ﷺ.

وفي إخبار النبي ﷺ بخيرية أمته في حال فقرها إشارة إلى أهمية لزوم حياة الزهد والاقتصاد في المعيشة، وصرف الأموال الفائضة في عمران بلاد الإسلام وتقوية الجيوش الإسلامية، وهذا هو الذي سار عليه الخلفاء الراشدون وخاصة أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

مثل من اللجوء إلى الله تعالى وتعظيم شعائر الإسلام

(الوصول إلى خيبر)

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه، عن أبي مُعتِّب بن عمرو: أنّ رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه، وأنا فيهم: قفُوا، ثم قال: اللهمّ ربّ السموات وماأظْللن،وربَّ الأرضين وماأقللْن،وربَّ الشَّياطين وما أضللْن،وربَّ الرّياح وما أذْرين، فإنَّا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخيرَ ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها،اقدُموا بسم الله.قال.وكان يقولُها عليه السلام لكلّ قرية دَخلها[1].

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يُغرْ عليهم حتى يُصبح، فإن سمع أذانا أمسك وإن لم يسمع أذانا أغار. فنزلنا خيبر ليلا، فبات رسول الله ﷺ،حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا، فركب وركبنا معه، فركبتُ خلف أبي طلحة،وإن قَدَمي لتمس قَدَمَ رسول الله ﷺ،واستقبلنا عُمَّال

---

(١) وأخرج الحاكم هذا الدعاء، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرَّجاه، وأقره الذَّهَبِيّ، المستدرك: ٢/ ١٠٠.

خيبر غادين،قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم،فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش، قالوا: محمد والخميس[1] معه! فأدْبرُوا هُرَّابا، فقال رسول الله ﷺ:الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المنذَرين[2].

فالرسول ﷺ مع ربه جل وعلا بيقينه ودعائه وتوكله، وهو يعلم أن الخلق جميعا أمرهم بيده جل وعلا، فيسأل ربه بتضرع ويقين أن يمنحه وأصحابه خير تلك القرية وخير أهلها وخير ما فيها وأن يقيه من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، وإذا حاز العبد على حفظ الله تعالى فلن تستطيع قوى الأرض مجتمعة أن تصل إليه بسوء ولا أن تمنعه من خير.

وفي اعتبار النبي ﷺ الصلاة علامة على الإسلام تعظيم للصلاة وبيان لمنزلتها من الدين، وفي هذا بيان لأهمية صلاة الجماعة بالذات

---

(١) يعني: الجيش.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٣٦، ٤٣٧، وأخرجه الأئمة ؛ البُخَارِيّ ومسلم وأحمد مختصرًا، صحيح البُخَارِيّ، المغازي، رقم: ٤٢١٠، صحيح مسلم، فضائل الصحابة، رقم: ٢٤٠٦، مسند أحمد: ٥/ ٣٣٣، وذكره الهيثمي عن أحمد في روايتين قال عن أحدهما: ورجاله ثقات، وقال عن الأخرى: ورجاله رجال الصحيح: ٦/ ١٥٠ – ١٥١.

حيث إن الأذان إعلام بدخول وقت الصلاة ونداء للاجتماع في المساجد بقول المؤذن «حيَّ على الصلاة » أي أقبلوا أيها المسلمون إلى الصلاة في المسجد.

وفي قوله ﷺ« إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » إظهار لعزة المسلمين وقوتهم ورفع لمعنويتهم.

مثل من حصانة الصحابة في الحروب النفسية

(إرجاف اليهود بالمسلمين)

قال الواقدي فيما يروي عن شيوخه: وكانت يهود خيبر لايظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم لمَنَعتهم وحُصونهم وسلاحهم وعَدَدهم، كانوا يُخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفًا ثم يقولون: محمد يغزونا؟ هيهات! هيهات! وكان من كان بالمدينة من اليهود يقولون حين تجهز النبي ﷺ إلى خيبر: ما أمنع والله خيبر منكم! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات في ذُرى الجبال، والماءُ فيها واتن[1]، إن بخَيبر لألفَ دارع، ماكانت أسدٌ وغطفان يمتنعون من العرب قاطبة إلا بهم، فأنتم تطيقون خيبر؟ فجعلوا يوحون بذلك إلى أصحاب النبي ﷺ، فيقول أصحابُ النبي ﷺ: قد وعدها الله نبيه أن يُغَنِّمه إياها. فخرج رسول الله ﷺ إليهم، فعَمَّى الله عليهم مخرجه إلا بالظن حتى نزل رسولُ الله ﷺ بساحاتهم ليلاً[2].

---

(١) أي: جارٍ تحت حصونهم.

(٢) مغازي الواقدي ٢/ ٦٣٧.

هذا الإرجاف القوي من اليهود يمكن أن يزلزل أعداءهم وأن يصرفهم تماما عن التفكير بغزو أهل خيبر لو كان أعداء اليهود من غير المسلمين الصادقين.

فالمسلمون يخرجون من المدينة بألف وأربعمائة مقاتل ليواجهوا عشرة آلاف في بلدهم وحصونهم المنيعة المليئة بالسلاح والطعام المؤمَّنة بالماء الجاري من تحت الأرض، لاشك أن المسلمين لو تصور حالهم المتأمل الخبير بالحروب وهم مُجَرَّدون من العقيدة سَيَحْكُم عليهم بالفشل وسيحكم على خروجهم بأنه مغامرة مهلكة.

لكن المسلمين قد اعتقدوا أن النصر لهم لأن الله تعالى وعد نبيه ﷺ أن يُغَنِّمه خيبر، وما دام الله جل وعلا قد وعد بذلك فلايمكن أن يتخلف وعده، ونظرا لقوة إيمان المسلمين فإنهم قد ألغوا جميع الاحتمالات السيئة، ونصبوا أمامهم وعد الله تعالى الذي لا يتخلف فأقدموا على تلك المغامرة.

موقف حزم وخبرة من عباد بن بشر

قال الواقدي: بعث رسول الله ﷺ عَبّاد بن بشر في فوارسَ طليعةً، فأخذ عينًا لليهود من أشجع فقال: من أنت؟ قال: باغ أبتغي أبعرةً ضلَّتْ لي، أنا على أثرها. قال له عباد: ألك علم بخيبر؟ قال: عهدي بها حديث، فيم تسألني عنه؟ قال: عن اليهود. قال: نعم، كان كنانة ابن أبي الحقيق وهوذة بن قيس ساروا في حُلفائهم من غطفان، فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنةً، فجاءُوا مُعدِّين مؤيدين بالكراع والسلاح يقودهم عُتبة بن بدر، ودخلوا معهم في حصونهم، وفيها عشرة آلاف مقاتل، وهم أهل الحُصون التي لاتُرام، وسلاحٌ وطعامٌ كثير لو حُصروا لسنين لكفاهم، وماءٌ واتنٌ يشربون في حُصونهم، ما أرى لأحد بهم طاقة. فرفع عباد بن بشر السوط. فضربه ضربات وقال: ما أنت إلا عين لهم، اصدقني وإلا ضربت عنقك! فقال الأعرابي: أفتؤَمِّني على أن أصدقك؟ قال عباد: نعم.

فقال الأعرابي: القوم مرعوبون منكم خائفون وَجلُون لما قد صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود، وإن يهود يثرب بعثوا ابن عم لي وجدوه بالمدينة، قد قدم بسلعة يبيعها، فبعثوه إلى كنانة بن أبي الحقيق يخبرونه بقلَّتكم وقلة خيلكم وسلاحكم. ويقولون له: فاصدقوهم

الضرب ينصرفوا عنكم، فإنه لم يلق قومًا يُحسنون القتال! وقُريش والعرب قد سُرُّوا بمسيره إليكم لما يعلمون من مَوادِّكم وكثرة عددكم وسلاحكم وجودة حصونكم! وقد تتابعت قُريش وغيرهم ممن يهوي هوى محمد، تقول قريش: إن خيبر تظهر! ويقول آخرون: يظهر محمد، فإن ظفر محمد فهو ذل الدهر! قال الأعرابي: وأنا أسمع كل هذا، فقال لي كنانة: اذهب معترضًا للطريق فإنهم لايستنكرون مكانك، واحزرهم لنا، وادنُ منهم كالسائل لهم ما تقوى به، ثم ألْق إليهم كثرةَ عددنا ومادَّتنا فإنهم لن يَدَعوا سؤالك، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم.

فأتى به عباد النبي ﷺ فأخبره الخبر، فقال عمر بن الخطاب: اضرب عنقه. قال عباد: جعلت له الأمان. فقال رسول الله ﷺ: أمسكه معك ياعباد! فأوثق رباطًا. فلما دخل رسول الله خيبر عرض عليه الإسلام وقال رسول الله ﷺ: إني داعيك ثلاثًا، فإن لم تسلم لم يخرج الحبلُ عن عنقك إلا صَعَدًا! فأسلم الأعرابي[1].

وهكذا استطاع عباد بن بشر رضي الله عنه بحزمه وخبرته الحربية أن

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٤٠ – ٦٤١.

يستخرج المعلومات الصحيحة من ذلك الجاسوس، فتبين أن هذه المعلومات ضد المعلومات التي تم تزويده بها من قبل اليهود، فقد أرادوا تحطيم معنوية المسلمين بالإرجاف، لكن الله تعالى رد كيدهم في نحورهم حيث نطق ذلك الجاسوس بالحقيقة فوصف ماهم فيه من الخوف الشديد والهلع البالغ.

بدء القتال وفتح حصن النَّطاة

ذكر الواقدي في سياق روايته أن النبي ﷺ لما وصل إلى خيبر نزل قريبا من حصن النطاة، وأن المسلمين قاتلوا اليهود يومهم ذلك بالنبال.

ثم ذكر أن النبي ﷺ انتقل بعيدا عن الحصن ونزل في مكان يسمى الرجيع ليكون أكثر أمانا للمسلمين، قال: فلما أمسى رسولُ الله ﷺ تحول إلى الرجيع وخاف على أصحابه البيات. فضرب عسكره هناك وبات فيه، وكان مُقامه بالرَّجيع سبعة أيام. يغدو كل يوم بالمسلمين على راياتهم متسلحين ويترك العسكر بالرجيع، ويستخلف عليه عُثمان بن عفان ﷺ، ويقاتل أهل النطاة يومه إلى الليل،ثم إذا أمسى رجع إلى الرجيع. وكان قاتل أول يوم من أسفل النطاة، ثم عاد

بعدُ فقاتلهم من أعلاها حتى فتح الله عليه.وكان من جُرح من المسلمين حُمل إلى المعسكر فدُووي، وإن كان به انطلاق انطلق إلى معسكر النبيﷺ. وكان أول يوم قاتلوا فيه جُرح من المسلمين خمسون رجلاً من نبلهم[1].

هذا النوع من القتال يبين لنا عظمة المسلمين حيث يقاتلون وهم في العراء قوما قد تحصنوا بحصنهم فنبالهم أعلى من نبال المسلمين، وهم متسترون بحصنهم والمسلمون لايسترهم شيء، ومع فُشُوِّ الجراح بالمسلمين من نبال العدو فإنهم استمروا في الحصار والقتال حتى فتح الله تعالى لهم ذلك الحصن، وهو مثل على صبر المسلمين وقوتهم في مصابرة أعدائهم.

إسلام يسار الحبشي

قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسود الراعي- فيما بلغني- أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حُصون خيبر، ومعه غنم له، كان فيها أجيرًا لرجل من يهود، فقال: يارسول الله، اعرض علي الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم - وكان رسولُ الله ﷺ لايحقر أحدًا أن

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٤٥ – ٦٤٦.

يدعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال يارسول الله، إني كنت أجيرًا لصاحب هذه الغنم،وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال اضرب في وجوهها، فإنها سترجع إلى ربها - أو كما قال- فقام الأسود، فأخذ حفنة من الحصى، فرمى بها في وجوهها، وقال ارجعي إلى صاحبك، فو الله لا أصحبك أبدًا، فخرجت مجتمعة، كأن سائقًا يسوقها، حتى دخلت الحصن، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليُقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط، فأُتِيَ به رسول الله ﷺ، فَوُضع خلفه، وسُجِّى بشملة كانت عليه، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه، فقالوا: يارسول الله، لمَ أعرضت عنه؟ قال: إن معه الآن زوجتيه من الحور العين.

قال ابن إسحاق: وأخبرني عبد الله بن أبي نجيح أنه ذُكر له: أن الشهيد إذا ما أصيب تدلَّت له زوجتاه من الحور العين، تنفضان التراب عن وجهه، وتقولان: تَرَّبَ الله وجه من تربك، وقتل من قتلك[1].

(١) سيرة ابن هشام:٣/ ٤٥٩ – ٤٦٠، وأخرجه الواقدي، وذكر نحوه وفيه أن اسم الراعي: يسار الحبشي، مغازي الواقدي: ٢/ ٦٤٩.

وهكذا أبصر نور الهداية عبد مملوك بينما حُجبَتْ عن علماء أهل الكتاب، فالهداية نور، والنور لايَحُلّ إلا في قلب صحيح سليم من الهوى المنحرف والحسد والغل، أما القلب المريض فإنه محجوب عن ذلك النور وإن كان الفكر في غاية الفهم والعلم.

ولقد كان إيمان يسار الحبشي قويا صادقا دفعه إلى الجهاد حتى نال الشهادة في سبيل الله تعالى، ولقد رأى رسول الله ﷺ زوجتيه من الحور العين مما يدل على صدق إيمانه.

وفي هذا الخبر دلالة على أمانة الصحابة ﷺ ، فحينما اتجه إليهم يسار بغنمه لم يعرض لها أحد منهم، لا في حال إقباله ولا في حال دفعه بالغنم إلى الحصن.

فتح حصن ناعم وموقف لعلي بن أبي طالب

أخرج الإمام البخاري من حديث سهل بن سعد ﷺأن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله ويحبه اللهُ ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين عليٌّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو يارسول الله يشتكي عينيه. قال فأرسلوا إليه فأُتيَ به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

فقال علي: يارسول الله،أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: انفُذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم[2].

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد

---

(١) يدوكون: أي اختلط عليهم الأمر، فصاروا يخوضون في الحديث عن صاحب الراية.

(٢) صحيح البُخَارِيّ، المغازي: ٧/ ٤٧٦، رقم: ٤٢١٠.

ﷺ، وذكر نحوه [1] ،وفي رواية له أخرى من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ في حديث طويل جاء في آخره خبر خيبر وفيه: ثم أرسلني - يعني رسول الله ﷺ - إلى عليّ وهو أرمد، فقال: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينيه فبرأ، وأعطاه الراية، وخرج مرحب فقال:

قــد عـلمت خيبر أني مَرْحب شــاكي السلاح بطل مجرَّب

إذا الحـــروب أقـــبلت تلــهَّب

فقال علي:

أنــا الذي سَمَّتْني أمي حَيدرة[2] كَلَيث غابات كريه المَنْظَرَهْ

أُوفيهُمُ بالصـــاع كيْلَ السندَرَة [3]

---

(١) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، رقم: ٢٤٠٦ ص ١٨٧٢.

(٢) الحيدرة: اسم للأسد ؛ أي أنا الأسد في شجاعته وقوته.

(٣) السندرة: مكيال واسع، والمعنى: أقتل الأعداء قتلاً ذريعًا.

قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه [1].

فهذا الخبر يشهد لعلي بن أبي طالب ﷺ بالفضل الكبير، وذلك من جهة شهادة النبي ﷺ له بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وهذا شرف كبير لعلي رضي الله عنه، مما جعل كل واحد من الصحابة يرجو أن يكون صاحب هذا الشرف العالي، وذلك لقوة شعورهم بالهدف الأعلى للإسلام وهو بلوغ رضوان الله تعالى والسعادة الأخروية.

كما أن في هذا الخبر فضلا كبيرا من جهة ما امتاز به علي ﷺ من الشجاعة النادرة والتمتع باقتحام الأهوال، فقد كان مرحب اليهودي أشجع اليهود وكان يخيف مبارزيه، ولكن عليا لم يبال به وهجم عليه بقوة وإقدام حتى جَنْدَ لَه قرب حصنه، ثم ثبت ومن معه ثبات الأبطال حتى فتح الله لهم ذلك الحصن الذي يعدُّ من أمنع حصون خيبر، وهو حصن« ناعم » كما ذكر الواقدي في روايته [2].

ومن الأبطال الذين كان لهم إسهام كبير في فتح ذلك الحصن

---

(١) صحيح مسلم، الجهاد رقم: ١٨٠٧، ص ١٤٣٣ – ١٤٤١.

(٢) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٥٢.

إضافة إلى علي بن أبي طالب أبو دجانة سماك بن خرشة، ومحمد بن مسلمة، والزبير بن العوام ﷺ .

وفي ذلك يقول الواقدي فيما يرويه عن شيوخ من بني ساعدة قالوا: قَتل أبو دجانة الحارث أبا زينب، وكان يومئذ معلمًا بعمامة حمراء، والحارث مُعلم فوق مغفره [1].

وروى عن شيوخه قالوا: وبرز أُسَير، وكان رجلاً أيِّدا [2]، وكان إلى القصَر، فجعل يصيح، من يبارز؟ فبرز له محمد بن مَسلمة فاختلفا ضربات، ثم قتله محمد بن مسلمة. ثم برز ياسر وكان من أشدائهم، وكانت معه حربةٌ يحوش بها المسلمين حَوشًا، فبرز له عَليٌّ عليه السلام فقال الزبير: أقسمتُ عليك إلا خليت بيني وبينه. ففعل عليٌّ وأقبل ياسر بحربته يسوق بها الناس، فبرز له الزبير، فقالت صفية: يارسول الله واحَزنَى! ابني يُقتل يارسول الله! فقال: بل ابنُك يقتُله. قال: فاقتتلا فقتله الزبير، فقال له رسول الله ﷺ: فداك عمٌّ وخال! وقال النبي ﷺ: لكل نبيٍّ حواريٌّ وحواريَّ الزبير وابن عمتي.

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٥٤.

(٢) أي: قويًّا.

فلما قُتل مرحب وياسر قال رسول الله ﷺ: أبشروا، قد ترحبت خيبر وتيسرت! وبرز عامر وكان رجلاً طويلاً جسيمًا، فقال رسول الله ﷺ حين طلع عامر: أترونه خمسةَ أذْرُع؟ وهو يدعو إلى البراز، يَخطُر بسيفه وعليه درعان، مُقنَّع في الحديد يَصيح: من يبارز؟ فأحجم الناسُ عنه، فَبَرز إليه عَليٌّ رضي الله عنه فضربه ضربات، كلٌّ ذلك لايصنع شيئًا، حتى ضرب ساقيه فَبَرك، ثم ذفَّف [1] عليه فأخذ سلاحه [2].

وكل هؤلاء كانوا من شجعان اليهود الكبار، وهذا يبين تفوق أبطال المسلمين على غيرهم بكثير، وذلك لسمو الهدف الذي ينشدونه وهو الشهادة في سبيل الله تعالى، وعظمة المثوبة المترتبة على ذلك وهي الظفر بالدرجات العُلَى في الجنة.

أما الكفار فأي شيء يطلبونه من تقديم أرواحهم! إن الهدف الذي ينشدونه هو الشهرة والمجد الدنيوي، وهذا سيفوتهم إذا قُتلوا، ولهذا فإن أكثر طاقاتهم مصروفة للدفاع عن أنفسهم، بينما تكون جميع طاقة المسلم مصروفة للهجوم على الخصم.

---

(١) أي: أجهز عليه.

(٢) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٥٧.

فتح حصن الصعب بن معاذ

قال الواقدي فيما يروي عن شيوخه: وكان حصن الصعب بن مُعاذ في النطاة، وكان حصن اليهود فيه الطعام والودك والماشية والمتاع، وكان فيه خمسمائة مقاتل، وكان الناس[1] قد أقاموا أيّامًا يقاتلون وليس عندهم طعامٌ إلا العَلَف.

قال مُعتِّب الأسلَميّ: أصابنا معشرَ أسْلم خصاصةٌ حين قدمنا خيبر، وأقمنا عشرة أيام على حصن النطاة[2] لا نفتح شيئًا فيه طعام، فأجمعَتْ أسلم أن يُرسلوا أسماء بن حارثة فقالوا: إيت محمدًا رسول الله فقُل: إنّ أسلم يُقرئونك السلام ويقولون إنّا قد جهدنا من الجوع والضَّعف. فقال بُرَيدة بن الحُصَيب: والله إن رأيتُ كاليوم قطُّ أمرًا بين العرب يصنعون فيه هذا! فقال هند بن حارثة: والله إنا لنرجو أن تكون البعثةُ إلى رسول الله ﷺ مفتاحَ الخير، فجاءه أسماءُ بن حارثة فقال: يارسول الله، إنّ أسلم تقول: إنّا قد جهدنا من الجوع والضعف فَادْعُ الله لنا، فدعا لهم رسول الله ﷺ فقال: والله ما بيدي ما أقْريهم. ثم

---

(١) أي: المسلمون.

(٢) يقصد: حي النطاة، وفيه عدة حصون.

صاح بالناس فقال: اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيه، أكثره طعامًا وأكثره ودَكًا.

ودفع اللواءَ إلى الحُباب بن المُنذر بن الجَموح، ونَدَب الناس، فما رجعنا حتى فتح الله علينا الحصن - حصن الصَّعب بن مُعاذ - فقالت أم مُطاع الأسلمية، وكانت قد شهدت خيبر مع رسول الله ﷺ في نساء، قالت: لقد رأيت أسلم حين شكوا إلى رسول الله ﷺ ماشكوا من شدة الحال، فندب رسولُ الله ﷺ الناس فنهضوا، فرأيتُ أسلم أول من انتهى إلى حصن الصَّعْب بن مُعاذ، وإنّ عليه لخمسمائة مُقاتل، فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتحه الله، وكان عليه قتال شديد.

برز رجلٌ من اليهود يقال له يوشع يدعو إلى البراز، فبرز إليه الحُبابُ بن المُنذر فاختلفا ضربات فقتله الحُبابُ. وبرز آخر يقال له الزَّيَّال، فبرز له عُمارة بن عُقبة الغفاري فبَدَره الغفاريُّ فيضربه ضربةً على هامته، وهو يقول: خُذْها وأنا الغلامُ الغفاري! فقال الناس: بطل جهادُه. فبلغ رسولَ الله ﷺ فقال: ما بأسٌ به، يؤجَر ويُحمد.

وكان أبو اليَسَر يحدّث أنهم حاصروا حصنَ الصَّعب بن مُعاذ

ثلاثة أيام، وكان حصنًا منيعًا، وأقبلتْ غَنَمٌ لرجل من اليهود ترتع وراءَ حصنهم، فقال رسول الله ﷺ: من رجلٌ يُطعمنا من هذه الغنم؟ فقلتُ: أنا يارسول الله، فخرجت أسعى مثل الظَّبي، فلما نظر إليّ رسول الله ﷺ مُولِّيًا قال: اللهم مَتِّعْنا به! فأدركتُ الغنم وقد دخل أوّلُها الحصن، فأخذتُ شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدَيّ، ثم أقبلتُ أعدو كأن ليس معي شيء حتى أتيتُ بهما رسول الله ﷺ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فذُبحتا ثم قسمهما، فما بقي أحدٌ من أهل العسكر الذين هم معه محاصرين الحصن إلا أكل منهما. فقيل لأبي اليَسَر: وكم كانوا: قال: كانوا عددًا كثيرًا. فيقال: أين بقيّةُ الناس؟ فيقول: في الرَّجيع بالمعسكر.

فسُمع أبو اليَسَر - وهو شيخ كبير - وهو يبكي في شيء غاظه من بعض ولده، فقال: لَعمري بقيتُ بعد أصحابي ومُتّعوا بي وما أُمتَّع بهم! لقول رسول الله ﷺ: اللهم مَتِّعْنا به! فبقي فكان من آخرهم [1].

وكان أبو رُهم الغفاريّ يحدّث قال: أصابنا جوعٌ شديدٌ، ونزلنا خَيْبَر زمان البَلَح، وهي أرض وخيمة حارَّةٌ شديدٌ حَرُّها. فبينا نحن

(١) وأخرج ابن إسحاق هذا الخبر، وذكر نحوه، سيرة ابن هشام ٣ / ٤٤٧.

محاصرون حصنَ الصَّعب بن مُعاذ فخرج عشرون حمارًا منه أو ثلاثون، فلم يقدر اليهود على إدخالها، وكان حصنُهم له منَعةٌ، فأخذَها المسلمون فانتحروها وأوقدوا النيران وطبخوا لحومها في القُدور والمسلمون جياع، ومَرّ بهم رسولُ الله ﷺ وهم على تلك الحال فسأل فأُخبر فأمر مُناديًا: إنّ رسول الله ﷺ ينهاكم عن الحُمر الإنسية- قال: فَكَفَوا القُدور -وعن مُتعة النساء، وعن كلّ ذي ناب ومخْلَب.

وحدثني ابن أبي سَبرة. عن الفُضَيل بن مبشِّر. قال: كان جابر ابن عبد الله يقول: أطعَمَنا رسولُ الله ﷺ لحومَ الخيل. فَذَبح قومٌ من المسلمين خيلا من خيلهم قبل أن يُفتح حصن الصَّعب بن مُعاذ: فقيل لجابر: أرأيت البغال. أكنتم تأكلونها؟ قال:لا.

وحدثني ابن أبي سَبْرَة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْصَعَة. عن الحارث بن عبد الله بن كعب، عن أم عمارة،قالت: ذبحنا بخيبر لبني مازن بن النجار فرسين، فكنا نأكلُ منهما قبل أن يفتح حصنُ الصَّعب بن مُعاذ.

وكان ابنُ الأكوع يقول: كنا على حصن الصَّعب بن معاذ، أسلمُ بأجمعها، والمسلمون قد حصروا أهل الحصن، فلقد رأيتُنا وصاحب

رايتنا سعد بن عُبادة، فانكشف المسلمون، فأخذ الراية فغدونا معه. وغدا عامر بن سنان فلقي رجلاً من اليهود، وبَدَره اليهوديُّ فيضرب عامرًا، قال عامر: فاتقيتُه بدَرَقتي فنبا سيف اليهودي عنه. قال عامر: فأضربُ رجل اليهودي فأقطعُها. ورَجع السيف على عامر فأصابه ذبابُه فنزف فمات. فقال أسيد بن حُضَير: حبط عملُه. فبلغ رسول الله ﷺ فقال: كذب من قال ذلك [1] إن له لأجرين. إنه جاهد مُجاهدٌ، وإنه لَيَعوم في الجنة عوْمَ الدُّعْموص [2].

وحدثني خالد بن إلياس، عن جعفر بن محمود بن محمد. عن محمد بن مسلمة قال: كنت فيمن تَرَّس عن النبي ﷺ. قال: فرأيتُ رسول الله ﷺ رَمَى بسهم، فما أخطأ رجلاً منهم، وتبسم إليَّ رسولُ الله ﷺ، وانفرجوا ودخلوا الحصن.

وحدثني ابن أبي سبرة. عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فَروة، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه، قال: لما انتهينا إلى حصن الصعب بن معاذ، والمسلمون جياع والأطعمةُ فيه كلُّها، وغزا بنا

---

(١) كذب هنا بمعنى أخطأ، والكذب يطلق أحيانًا في اللغة، ويراد به الخطأ.

(٢) الدعموص: الدخَّال في الأمور ؛ أي أنه يسيح في الجنة.

الحُباب بن المُنْذر بن الجَموح ومعه رايتنا وتبعه المسلمون، وقد أقمنا عليه يومين نقاتلهم أشدَّ القتال، فلما كان اليوم الثالث بَكَّر رسولُ الله ﷺ عليهم، فخرج رجل من اليهود كأنه الدَّقَل[1] في يده حربةٌ له، وخرج وعاديته معه فرموا بالنبل ساعة سراعًا، وترَّسْنا عن رسول الله وأمطروا علينا بالنَّبل، فكان نبلهم مثل الجراد حتى ظننتُ ألا يُقلعوا ثم حملوا علينا حملةَ رجل واحد، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو واقف، قد نزل عن فرسه ومدعَم[2] يُمسك فرسه.وثبت الحُبابُ برايتنا،والله ما يزول يُراميهم على فرسه، وندب رسولُ الله ﷺ المسلمين وحضهم على الجهاد ورغبهم فيه، وأخبرهم أن الله قد وعده خَيبر يُغنِّمه إياها.

قال: فأقبل الناس جميعًا حتى عادوا إلى صاحب رايتهم، ثم زحف بهم الحُباب فلم يزل يدنو قليلاً قليلاً، وترجع اليهودُ على أدبارها حتى لحمها الشرُّ فانكشفوا سراعًا، ودخلوا الحصن وغلقوا عليهم. ووافوا على جُدُره - وله جُدُر دون جُدُر - فجعلوا يرموننا

---

(١) الدَّقل: خشبة يمد عليها شراع السفينة.

(٢) هو مولى رسول الله ﷺ، الاستيعاب: ١٤٦٨.

بالجَنْدَل[1] رميًا كثيرًا. ونحّونا عن حصنهم بوقع الحجارة حتى رجعنا إلى موضع الحُباب الأول.

ثم إن اليهود تلاومت بينها وقالت: ما نستبقي لأنفسنا؟ قد قُتل أهل الجِدّ والجَلَد في حصن ناعم. فخرجوا مستميتين، ورجعنا إليهم فاقتتلنا على باب الحصن أشدَّ القتال. وقُتل يومئذ على الباب ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ - أبو صَيَّاح. وقد شهد بدراً، ضربه رجل منهم بالسيف فأطنَّ قِحْفَ رأسه ؛ وعَدِيّ بن مُرَّة بن سُراقة. طعنه أحدهم بالحربة بين ثدييه فمات ؛والثالث الحارث بن حاطب وقد شهد بدراً.رماه رجل من فوق الحصن فدمغه.وقد قتلنا منهم على الحصن عدَّة، كلّما قتلنا منهم رجلاً حملوه حتى يدخلوه الحصن،ثم حمل صاحب رايتنا وحملنا معه. وأدخلنا اليهودَ الحصن وتبعناهم في جوفه، فلمّا دخلنا عليهم الحصن فكأنهم غَنَم. فقتلنا مَن أشرفَ لنا. وأسرْنا منهم. وهربوا في كل وجه يركبون الحَرّة يريدون حصن قلعة الزُّبير، وجعلنا نَدَعهم يهربون وصعد المسلمون على جُدُره فكبروا عليه تكبيرًا كثيرًا، ففَتَتْنا أعضاد اليهود بالتكبير. لقد

(١) الجندل: الحجارة، لسان العرب: ١١/ ١٢٨.

رأيتُ فتيانَ أسْلم وغفار فوق الحصن يُكبِّرون.

فوجدنا –والله– من الأطعمة ما لم نظن أنه هناك، من الشعير، والتمر، والسمن، والعسل. والزيت.والوَدَك. ونادى مُنادي رسول الله ﷺ: كُلُوا وأعلفوا ولاتحتملوا. يقول: لاتخرجوا به إلى بلادكم. فكان المسلمون يأخذون من ذلك الحصن مُقامَهم طعامهم وعلف دوابهم، لايمنع أحد أن يأخذ حاجته ولايُخَمَّس الطعام. ووجدوا فيه من البَزّ والآنية، ووجدوا خوابي السَّكَر[1]، فأُمروا فكسروها. فكانوا يكسرونها حتى سال السَّكَر في الحصن، والخوابي كبار لايُطاق حَمْلُها. وكان أبو ثعلبة الخُشَني يقول: وجدنا فيه آنيةً من نُحاس وفَخار كانت اليهود تأكل فيها وتشرب. فسألنا رسول الله ﷺ فقال: اغسلوها واطبخوا وكُلوا فيها واشربوا. وقال: أسخنوا فيها الماء ثم اطبخوا بعد، وكلوا واشربوا. وأخرجنا منه غنمًا كثيرًا وبقرًا وحُمُرًا. وأخرجنا منه آلة كثيرةً للحرب، ومَنجنيقًا ودبّابات وعُدّة، فنعلم أنهم قد كانوا يظنون أن الحصار يكون دهرًا، فعجل الله خزيَهم[2].

---

(١) أي: الخمر.

(٢) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٥٨ – ٦٦٤.

في هذه الأخبار مواقف وعبر فمن ذلك:

أولاً: فيها تصوير بليغ لما أصاب المسلمين من الجوع الشديد حيث فقدوا الطعام تماما أثناء حصارهم لبعض حصون خيبر ولم يبق معهم إلا علف البهائم، ومع ذلك صبروا صبرًا جميلاً.

وحينما جاء رسول قبيلة أسلم يبين لرسول الله ﷺ حال قومه الشديدة لم يعرض الأمر بأسلوب التشكِّى والتَّضجُّر وإنما أخبر بحالهم ثم طلب من رسول الله ﷺ أن يدعو الله تعالى لهم، فكان الدعاء وكانت إجابة الله تعالى بما أغناهم حتى نهاية فتح خيبر.

ثانيًا: فيها نموذجان من تربية النبي ﷺ أصحابه على الاعتدال في الأمور والتحري في الحكم على الناس :

الأول: حينما هجم عمارة بن عقبة الغفاري على قرْنه اليهودي الذي بارزه قال عمارة: خذها وأنا الغلام الغفاري، فقال الناس: بطل جهاده، يعني حينما انتسب إلى قومه ولم ينتسب إلى الإسلام، فقال النبي ﷺ« ما بأسٌ به يؤجر ويحمد» أي يؤجر في الآخرة ويحمد في الدنيا.

فبين النبي ﷺ أن انتماءه إلى قبيلته على سبيل الافتخار لايؤثر على

انتمائه إلى الإسلام ما دام الهدف من القتال هو نصرة الإسلام والشعار الذي قد رفعه المجاهدون هو شعار الإسلام، وإن كان عدم الانتماء للقبيلة هو الأكمل كما هو الحال في سلوك المهاجرين والأنصار ﷺ جميعا.

ولقد كان الدافع لأولئك الذين حكموا ببطلان عمل عامر الغفاري هو حماسهم القوي نحو تطبيق الانتماء إلى الإسلام والقضاء على الانتماء القبلي الذي قد يؤثر على الاتجاه والسلوك، ولكن النبي ﷺ لم يقرهم على ذلك الحكم الشديد لعلمه بسلامة اتجاه ذلك المجاهد، ولو أنهم لم يحكموا ببطلان عمله وكلموه بلطف وأشعروه بأن الكمال أن ينتمي إلى الإسلام كما يفعل المهاجرون والأنصار لقبل منهم، ولم ينكر عليهم رسول الله ﷺ ولم يكن بحاجة إلى أن يدافع عن ذلك الغفاري.

وهذا الاتجاه نحو التشدد في الحكم على الناس يوجد غالبا في كل زمن، لأنه يكون استجابة لنداء الغيرة على حرمات الدين، ولكنه يضر بالمجتمع الإسلامي كثيرا ويُحدث التصدع والانشقاق في صفوفه، ويسبب تَكوُّن الأحزاب المختلفة الاتجاه نحو التشدد أو

الاعتدال، إلا إذا وفقت الأمة بقادة علماء حكماء بَعيدي النظر، لهم سمعة عالية ومحبة في قلوب المسلمين، فإن هؤلاء العلماء الربانيين يقومون بتوجيه هؤلاء المتحمسين وإعادتهم إلى الاتزان والاعتدال في الحكم على الآخرين، متأسين في ذلك بإمامهم وقدوتهم ﷺ.

والنموذج الثاني في حكم أسيد بن حضير على عامر بن سنان بأنه قد حبط عمله،وذلك حينما رجع عليه طرف سيفه وهو يهجم على اليهودي فجرحه فكان سببا لوفاته، فخطَّأ النبي ﷺ أسيد بن حضير في حكمه هذا الذي تعجل به،وأبان بأن عامرا شهيد في الجنة يسبح فيها كيف شاء.

وبهذه الجهود التربوية وأمثالها قضى رسول الله ﷺ على اتجاه بعض الصحابة ﷺ نحو التشدد في الحكم على إخوانهم، مع الإبقاء على روح الحماس والغيرة الدينية، وتوجيه تلك الطاقة المتوثبة نحو الاتجاه السليم والسلوك القويم.

ثالثًا: بذل المسلمون جهودًا كبيرة في القتال حول هذا الحصن، ومن الأبطال الذين سُجِّلت جهودهم الحباب بن المنذر، وعمارة بن عقبة الغفاري، وعامر بن سنان ﷺ ، ومن أبرز جهودهم خروجهم

لمبارزة شجعان اليهود، وحرب المبارزة هي أشد أنواع الحرب ولايتصدى لها إلا أصحاب الشجاعة وقوة البأس إضافة إلى قوة الإيمان.

يضاف إلى الحباب بن المنذر موقفه القوي في قيادة الجيش الإسلامي الذي تصدى لقتال اليهود حول الحصن، وذلك في ثباته في مركز القيادة حينما انهزم بعض الجيش إلى أن عادوا إليه فهجم بهم حتى تم فتح ذلك الحصن.

رابعًا: موقف فدائي لأبي اليَسَر كعب بن عمرو السَّلمي الأنصاري حيث حقق رغبة النبي ﷺ في أخذ شيء من غَنَم اليهود لإطعام المسلمين، وهو موقف خطير حيث إنه لابد أن يقترب من حصن اليهود المليء بالرماة، ومع هذه الخطورة فإنه قد سعى وراء الغنم حتى دخل أولها الحصن واحتضن منها شاتين، ولم يبال بما تعرض له من خطر لأن الشيء الذي كان يهيمن على فكره هو أن يحقق رغبة النبي ﷺ ثم لْيُصَب جسمه بالجراح أو القتل فإن ذلك لا يهمه في سبيل تحقيق هدفه الكبير.

واستجاب الله تعالى دعوة نبيه ﷺ فصرف أنظار اليهود عن أبي

اليَسَر فلم يتعرض لنبالهم ومتَّع المسلمين بحياته حتى كان من آخر الصحابة ﷺ وفاة.

ولفتة جليلة من أبي اليسر ﷺ حينما بكى في آخر عمره على أن مُتِّع به أصحابه فماتوا قبله ولم يمتَّع بهم، وهذا مثل من نظرة الصحابة إلى الحياة الدنيا فهم يخشون أن يتعرضوا للفتن ثم يلحقهم في دينهم منها شيء، فلذلك كانوا يشتاقون إلى الآخرة ويغبطون إخوانهم الذين توفاهم الله قبل أن يتعرضوا للفتن.

خامسًا: مثل من قوة إيمان الصحابة ﷺ وطاعتهم لرسول الله ﷺ وذلك حينما طبخوا تلك الحمر الأهلية وكانوا في مسغبة شديدة وجوع منهك، ومع ذلك حينما سمعوا منادي رسول الله ﷺ ينهاهم عن أكل لحوم الحمر الإنسية كفَوا القدور على الأرض ولم يطعموا منها شيئًا.

هؤلاء العظماء الذين نجحوا في جهاد أنفسهم وانتصروا على أهوائهم وشهواتهم هم الذين يُعقد عليهم الأمل ويُعتدُّ بهم في جهاد الأعداء وركوب المخاطر وتحمل الشدائد.

فتح حصن قلعة الزبير

أخرج الواقدي بإسناده عن إسحاق بن عبد الله قال: وتحولَت اليهود من حصن ناعم كلها، ومن حصن الصعب بن معاذ، ومن كل حصون النَّطاة، إلى حصنٍ يقال له قلعة الزبير، فزحف رسول الله ﷺ إليهم والمسلمون، فحاصرهم وغلَّقوا عليهم حصنهم وهو حَصين مَنيع، وإنما هو في رأس قلعة لا تَقدِر عليه الخيل ولا الرجال لصعوبته وامتناعه، وبقيت بقايا لا ذكْر لهم في بعض حصون النَّطاة، الرجل والرجلان. فجعل رسول الله ﷺ بإزائهم رجالاً يحرسونهم، لا يطلع أحدٌ عليهم إلا قتلوه.

وأقام رسول الله ﷺ على مُحاصرة الذين في قلعة الزبير ثلاثة أيام، فجاء رجل من اليهود يقال له غَزَّال فقال: أبا القاسم، تُؤمِّنّي على أن أدلّك على ما تستريح به مِن أهل النَّطاة وتخرج إلى أهل الشِّقِّ،فإنَّ أهل الشِّقِّ قد هلكوا رُعْباً منك؟ قال: فأمّنه رسول الله ﷺ على أهله وماله. فقال اليهوديّ: إنك لو أقمتَ شهرًا ما بَالَوا، لهم دُبُولٌ [1] تحت الأرض. يخرجون بالليل فيشربون بها ثم يرجعون إلى قلعتهم

(١) الدُّبول، جمع دبل، وهو جدول الماء.

فيمتنعون منك، وإن قطعتَ مَشْرَبهم عليهم ضجّوا.

فسار رسول الله ﷺ إلى دُبولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربَهم لم يُطيقوا المُقام على العطش، فخرجوا فقاتلوا أشدّ القتال، وقُتل من المسلمين يومئذ نفرٌ، وأُصيب من اليهود ذلك اليوم عشرةٌ، وافتتحه رسول الله ﷺ فكان آخرَ حصون النَّطاة.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من النّطاة أمر بالانتقال، والعسكر أن يُحوَّل من منزله بالرَّجيع إلى مكانه الأول بالمنزلة، وأمِن رسولُ الله ﷺ من البيات ومن حرب اليهود وما يخافُ منهم،لأن أهل النطاة كانوا أحدّ اليهود وأهلَ النَّجدة منهم.ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الشِّقِّ[1].

في هذا الخبر عبرة عظيمة، وذلك فيما قام به ذلك اليهودي من الدلالة على عورة قومه، فهو من جهةٍ نَصْرٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ وأوليائه المؤمنين، فإن ذلك الحصن الذي في رأس الجبل من الصعب جدا الوصول إليه لأن المهاجم الذي سيضطر إلى الصعود البطئ سيكون أكثر عرضة لنبال العدو، مع أنه لا يستطيع الصعود إلا عدد

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٦٦ – ٦٦٧.

قليل مجتمعين، وهذا يجعل فتح ذلك الحصن في غاية الصعوبة إلا بعمل كبير من الفدائية.ومن جهة أخرى فإن هذا التصرف من ذلك اليهودي يدل على تهافت مجتمع اليهود وعدم إخلاص الأتباع للقادة، خصوصا وقد حصل ذلك من غير واحد في أخبار أخرى،وذلك لكون قادة اليهود يزعمون بأنهم يُطبِّقون التوراة بينما يجد الأتباع أنهم يفسرونها حسب هواهم،ومن ذلك ما جاء فيها من الأوامر الصريحة بالإيمان بمحمد ﷺ وما جاء فيها من صفاته التي يعرفها حتى صغارهم بما يسمعون من علمائهم، وما ورثوه من وصايا علمائهم بالدخول في الإسلام وسبْق الناس إلى الإيمان برسول الله ﷺ، بل أشد من ذلك بالنسبة لهم ما جاء فيها بأنهم سَيُبتَلَون بالقتل والتشريد على يد رسول الله ﷺ،ومع ذلك يُصرُّون على الكفر به ومعاداته وتأليب العرب على قتاله.

فشيوع هذه الأخبار في مجتمع اليهود تجعل الأتباع مترددين بين الخوف من مصيرهم الذي سُطِّر في كتبهم وبين طاعة قادتهم، إضافةً إلى ما يرونه من التناقض الظاهر بين ادعاء تطبيق التوراة وأعمال قادتهم الكثيرة المخالفة لذلك.

فتح حصن أُبَيّ

قال الواقدي: فحدّثني موسى بن عمر الحارثي، عن أبي عُفَير محمد بن سهل بن أبي حَثْمَة قال: لما تحوّل رسول الله ﷺ إلى الشِّقِّ وبه حصونٌ ذات عدد،كان أول حصن بدا منها حصن أُبَيّ، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سُمران، فقاتل عليها أهل الحصن قتالا شديدا. وخرج رجل من اليهود يقال له غَزَّال فدعا إلى البراز، فبرز له الحُباب بن المُنذر فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحباب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فوقع السيف من يد غَزَّال فكان أعزل، ورجع مُبادرًا منهزماً إلى الحصن،وتبعه الحُباب فقطع عُرقوبه، فوقع فذَفَّف عليه.

وخرج آخر فصاح: مَن يبارز؟ فبرز إليه رجل من المسلمين من آل جَحش فقُتل الجَحْشيّ. وقام مكانَه يدعو إلى البراز ويبرز له أبو دُجانة قد عصب رأسه بعِصابة حمراء فوق المِغْفَر يختال في مشيته، فبدره أبو دُجانة فضربه فقطع رجليه، ثم ذَفَّف عليه وأخذ سلبه،دِرعه وسيفه، فجاء به إلى النبيّ ﷺ فنفَّله رسولُ الله ﷺ ذلك.

وأحجموا عن البراز، فكبّر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن

فدخلوه، يقدُمهم أبو دُجانة، فوجدوا فيه أثاثًا ومتاعًا وغَنَمًا وطعامًا، وهرب من كان فيه من المُقاتلة، وتقحموا الجُدُر كأنهم الظِّباءُ حتى صاروا إلى حصن النِّزار بالشق[1].

في هذا الخبر مواقف منها:

أولاً: موقفان لعلَمَين من أعلام المسلمين في الشجاعة والإقدام وهما الحباب بن المنذر وأبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنهما، حيث تصدى كل واحد منهما لمبارز من اليهود فقضى عليه، وكان لذلك أثر في وهن الأعداء.

فتح حصون الكتيبة والوطيح والسُّلالم

قال الواقدي فيما يرويه عن شيوخه قالوا: ثم تحول رسول الله ﷺ إلى الكتيبة والوطيح وسُلالم،حصن ابن أبي الحُقيق الذي كانوا فيه، فتحصنوا أشدّ التحصن، وجاءَهم كل فَلٍّ كان قد انهزم من النَّطاة والشِّقِّ، فتحصنوا معهم في القَموص وهو في الكتيبة، وكان حصنًا منيعًا، وفي الوطيح وسُلالم. وجعلوا لايطلعون من حصونهم مُغلِّقين عليهم، حتى همَّ رسولُ الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم لما رأى من

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٦٧ – ٦٦٨.

تغليقهم، وأنه لايبرز منهم بارز. فلما أيقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسولُ الله ﷺأربعة عشر يومًا سألوا رسول الله ﷺ الصُّلْح.

قال أبو عبد الله، قلت لإبراهيم بن جعفر:وُجِد في الكتيبة خمسمائة قوس عربية. وقال: أخبرني أبي عمّن رأى كِنانة بن أبي الحُقيق يرمي بثلاثة أسهم في ثلثمائة - يعني ذراع - فيُدخلها في هدفٍ شِبْرًا في شِبْر، فماهو إلا أن قيل:هذا رسول الله ﷺ قد أقبل من الشِّقِّ في أصحابه، وقد تهيّأ أهلُ القموص وقاموا على باب الحصن بالنبل، فنهض كنانة إلى قوسه فماقدر أن يُوترَها من الرِّعْدة،وأومأ إلى أهل الحصون:لا ترموا! وانقمع في حصنه، فما رُئِيَ منهم أحد، حتى أجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب. فأرسل كنانة رجلا من اليهود يقال له شَمّاخ إلى النبي ﷺ يقول: أنزلُ إليك أُكلّمك! فلما نزل شَمّاخ أخذه المسلمون فأُتيَ به النبي ﷺ فأخبره برسالة كنانة. فأَنعم له، فنزل كنانة في نفر من اليهود، فصالحه على ما صالحه، فأَحلفه عليه.

قال إبراهيم: تلك القِسيُّ والسلاح إنما كان لآل أبي الحُقَيق جماعة يعيرونه العرب،والحلي يُعيرونه العرب.ثم يقول:كانوا شرَّ يهود يَثْرب.

قالوا: وأرسل كنانة بن أبي الحُقَيْق إلى رسول الله ﷺ: أنزلُ فأُكلمك؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. قال: فنزل ابن أبي الحُقَيق فصالح رسولَ الله ﷺ على حَقن دماء مَن في حُصونهم من المقاتلة، وترك الذُّرّيّة لهم، ويخرجون مِن خَيْبَر وأَرْضها بذراريّهم، ويُخلّون بين رسول ا لله ﷺ وبين ما كان لهم من مال أو أرض، وعلى الصفراء والبيضاء والكُراع والحَلْقَة، وعلى البَزّ، إلا ثوبًا على ظهر إنسان. فقال رسول الله ﷺ:وَبَرئتْ منكم ذِمَّةُ الله وذمّةُ رسوله إن كتمتموني شيئًا. فصالحه على ذلك [1].

في هذا الخبر عبرة واضحة في نصر رسول الله ﷺ والمؤمنين بالرعب، فابن أبي الحُقَيْق اليهودي الذي كان مشهورا بالجودة في الرماية وإصابة الهدف من بُعْد لَّما سمع بمجئ النبي ﷺ لحصار حصنه ملأ الرعب قلبه حتى أصبح لا يستطيع أن يمسك بالنبل.

وهذا مثل واضح على أن الله تعالى مع أوليائه بنصره وتأييده إذا كانوا معه بالعبادة والتوكل والاستعانة.

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٧٠ – ٦٧١.

مثل من قوة الإيمان
(خبر الأعرابي المجاهد)

أخرج الإمام عبد الرزاق الصنعاني من حديث شداد بن الهادي أن رجلاً من الأعراب جاء النبيﷺ فآمن به، واتَّبعه، فقال أُهاجر معك، وأَوصى النبي ﷺ به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر - أو قال: حنين [1] -غنم رسول الله ﷺ، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم [2] فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: قسمٌ قسمه الله لك ورسول الله ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا يا محمد؟ قال: قسمٌ قسمته لك، قال ما على هذا اتَّبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرْمَى ها هنا-وأشار إلى حلقه- بسهم، فأَدخل الجنة، قال: إن تصدُق الله يصدقك، قال: فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدوّ، فأُتي به يُحمَل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهو هو؟ صدق اللهَ فصدقه، فكفَّنه النبي ﷺ في جبة للنبي ﷺ ثم قدّمه النبي ﷺ، فصلّى عليه، فكان مما ظهر من صلاته عليه: اللهم هذا عبدك، خرج مهاجرًا في سبيلك، فقُتل شهيدًا، أنا عليه شهيد [3].

---

(١) شكٌّ من الراوي، ولكن السياق يدل على غزوة خيبر .

(٢) يعني: إبلهم.

(٣) مصنف عبد الرزاق: ٥/ ٢٧٦، رقم ٩٥٩٧، وأخرجه الإمام النَّسَائيّ، سنن النَّسَائيّ، كتاب الجنائز، باب: الصلاة على الشهداء: ٤/ ٦٠.

في هذا الخبر مثل من قوة الإيمان الذي ترقَّى بصاحبه حتى أوصله في وقت سريع إلى الزهد في الدنيا والرغبة في الشهادة في سبيل الله تعالى، شوقًا إلى دخول الجنة.

وهكذا يفعل الإيمان فعلَه السريع في النفوس المتجردة من هوى النفس، فيكون الجسد مسخَّرًا للعقل السليم الذي أدرك أن الحياة الحقيقية التي تستحق أن يعمل لها العقلاء هي الحياة الآخرة، فيتجه المسلم عند ذلك إلى تأمين القدر الضروري للنجاة من النار ودخول الجنة، ألا وهو أداء الواجبات واجتناب المحرمات، وعندها يبلغ درجة التقوى ولكن حينما يسمو الإيمان وتعلو المدارك لا يقتنع المسلم بأن يكون من المتقين فقط بل يريد أن يكون من السابقين بالخيرات فيسابق في باب النوافل وفروض الكفاية .

ونجد صاحب هذا الخبر قد سابق إلى عمل من أزكى الأعمال الصالحة، حيث بلغ طموحه إلى الشهادة في سبيل الله تعالى، فأظفره الله بها وظفر بدعوة النبي ﷺ والشهادة له.

فتح فدك وموقف لمحَيِّصة بن مسعود

وموقف آخر لعبد الله بن رواحة

١ - أخرج الواقدي عن شيوخه قالوا:لما أقبل رسول الله ﷺ إلى خيبر فدنا منها، بعث مُحَيِّصَة بن مَسعود إلى فدَك[١] يدعوهم إلى الإسلام ويخوِّفهم أن يغزوهم كما غزا أهل خَيْبر ويحُلّ بساحتهم.

قال مُحَيِّصة: جئتهم فأقمت عندهم يومين، وجعلوا يتربصون ويقولون: بالنَّطاة عامر، وياسر وأُسَير، والحارث وسيد اليهود مَرْحب، ما نرى محمدًا يقرب حَراهم[٢]، إنّ بها عشرة آلاف مُقاتل. قال محيصة: فلما رأيت خبثهم أردت أرحل راجعًا، فقالوا:نحن نُرسل معك رجالاً يأخذون لنا الصُّلح، ويظنُّون أنّ اليهود تمتنع، فلم يزالوا كذلك حتى جاءَهم قتْل أهل حصن ناعم وأهل النجدة منهم،ففتّ ذلك أعضادهم وقالوا لمُحَيِّصَة: اكتمْ عنَّا ماقلنا لك ولك هذا الحَلْي! لحَلْي نسائهم، جمعوه كثيرًا. فقال مُحَيِّصة: بل أخبر رسول الله ﷺ بالذي سمعتُ منكم. فأخبر النبي ﷺ بما قالوا.

---

(١) بينها وبين المدينة يومان. (معجم البلدان، ج٦، ص ٣٤٢).

(٢) الحرا: جناب الرجل، يقال: اذهب فلا أراك بحراي. (النهاية، ج١، ص ٢٢٢).

قال مُحيصة: وقدم معي رجلٌ من رؤسائهم يقال له نُون بن يوشَع في نفر من اليهود، صالحوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءَهم ويُجليهم ويُخَلُّوا بينه وبين الأموال. ففعل، ويقال: عرضوا على النبي ﷺ أن يخرجوا من بلادهم ولايكون للنبي ﷺ عليهم من الأموال شيءٌ، وإذا كان جُذاذها جاؤوا فجذّوها، فأبى النبي ﷺ أن يقبل ذلك وقال لهم مُحَيِّصَة: مالكم مَنَعَة ولا رجال ولاحصون، لو بعث رسول الله ﷺ إليكم مائة رجل لساقوكم إليه. فوقع الصُّلح بينهم أنّ لهم نصف الأرض بتربتها لهم، و لرسول الله ﷺ نصفها، فقبل رسول الله ﷺ ذلك.وهذا أثبت القولين [1].

في هذا الخبر موقف جليل لمحيصة بن مسعود الأنصاري رضي الله عنه، وذلك في امتناعه عن أخذ الرشوة التي قدمها له يهود فدك في مقابل أن يكتم عن رسول الله ﷺ ماقالوه له، وقد أبى أن يحقق لهم مطلبهم ورفض قبول الرشوة، مع أنه فرد واحد وقد كانوا في حال حرب وقد استعزَّ يهود فدك بيهود خيبر وأظهروا لمحيصة أن المسلمين لن يستطيعوا القضاء على أبطال اليهود المشهورين، كل ذلك يجعل في

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٧٠٦ – ٧٠٧.

الأمر احتمال أن يعتدوا على محيصة بالقتل، ومع ذلك لم يُبَال بهم وأعلن لهم أنه لن يكتم عن رسول الله ﷺ مقالتهم وهذا يدل على شجاعته إضافة إلى ورعه واستقامته.

٢ – قال الواقدي في سياق روايته: وكان رسول الله ﷺ لما فتح خيبر سأله اليهود فقالوا: يامحمد، نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها· فساقاهم[١] رسول الله ﷺ خيبر على شطر من التمر والزرع، وكان يُزرع تحت النخل، فقال رسول الله ﷺ:« أقرّكم على ما أقركم الله ». فكانوا على عهد رسول الله ﷺ حتى تُوفي، وأبي بكر، وصَدْر من خلافة عمر، وكان يبعث عبد الله بن رواحة يخرُص عليهم النخل، فكان يخرصها فإذا خرص قال: إن شئتم فلكم وتضمنون نصف ماخرصتُ، وإن شئتم فلنا ونضمن لكم ماخرصتُ. وإنه خرص عليهم أربعين ألف وسق، فجمعوا له حُليّـًا من حُليّ نسائهم فقالوا: هذا لك، وتجاوزْ في القَسْم· فقال: يامعشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ، وماذاك يحملني أن أحيفَ عليكم· قالوا: بهذا

(١) أي اتفق معهم على سقي النخل والزرع وإصلاح ذلك ولهم في مقابل ذلك نصف الإنتاج.

قامت السموات والأرض [1].

في هذا الخبر موقف جليل لعبد الله بن رواحة ﷺ في الورع والعدل، فقد عرض عليه اليهود الرشوة من أجل أن يخون الأمانة، وذلك بأن يزيد في نصيبهم من التمر عند الخرص، فأبى أن يأخذ منهم ما عرضوا عليه، وبيَّن لهم أن العدل يقتضي منه أن يعطيهم حقهم كاملا وإن كانوا أبغض خلق الله إليه، فاعترفوا بحكم الحق والعدل وقالوا: بهذا قامت السموات والأرض.

إن تقديم هذا الطلب والطلب السابق من اليهود دليل على عدم تصورهم ما ينتجه الدين الصحيح من تصحيح الفكر وتقويم السلوك، ذلك لأن دينهم المحرف لا أثر له في سلوكهم، ولو أنهم عقلوا ودرسوا دين الإسلام دراسة دقيقة وسَبَرُوا حياة الصحابة ﷺ لعرفوا أن تحقيق هذا المطلب بعيد المنال منهم.

إن الذين قطعوا حبال الصلة مع كل أحلافهم في الجاهلية مع ما يترتب على ذلك من ضرر مادي .. وإن الذين قابلوا في الميدان الحربي أصدقاءهم وحلفاءهم بل أقاربهم ..

---

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٦٩٠ – ٦٩١.

وإن الذين باعوا أنفسهم لله تعالى وطلبوا الموت في مظانِّه رغبة في الشهادة في سبيل الله جل وعلا ..

وإن الذين سهروا الليالي يناجون الله تعالى وكابدوا ظمأ الهواجر تقربا إليه جل وعلا ..

إن هؤلاء العظماء لايتصور عاقل أن نفوسهم ستضعف حتى يأخذوا الرشوة ويخونوا الأمانة .

لقد كانت أخلاق الإسلام وأمور الحلال والحرام مطبقة عند هؤلاء الصفوة من قبل أن يرتفعوا إلى مستوى الجهاد الاختياري الذي يتنافسون على الاشتراك فيه، ويتسابقون إلى المواطن الفدائية في ملاحمه .

فتح وادي القرى وتيماء[1]

قال الواقدي فيما يرويه عن شيوخه:

فلما أتى رسول الله ﷺ الصهباء سلك على برمة حتى انتهى إلى وادي القُرى يُريد من بها من اليهود. وكان أبو هريرة يحدث قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من خَيبر إلى وادي القرى، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجُذامي قد وهب لرسول الله ﷺ عبدًا أسود يقال له مدْعَم، وكان يُرحِّل لرسول الله ﷺ. فلما نزلوا بوادي القرى انتهينا إلى اليهود وقد ضوى إليها أناسٌ من العرب، فبينا مدْعَم يحُطُّ رحْل النبيﷺ، وقد استقبلَتْنا اليهود بالرمي حيث نزلنا، ولم نكن على تَعبية وهم يصيحون في آطامهم، فيُقبل سهم عائرٌ[2] فأصاب مدْعَمًا فقتله، فقال الناس: هَنيئًا لك الجنة! فقال رسول الله: كلاَّ والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم يُصبها المَقْسم تشتعل عليه نارًا. فلما سمع بذلك الناس جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ بشراك[3] أو بشراكين. فقال النبي ﷺ: شراك من نار! أو شراكان من نار.

---

(١) وادي القرى يعرف اليوم بوادي العلا، وهو الآن مدينة شمال المدينة على بعد ٣٥٠كم تقريبًا – معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية – ص ٢٥٠ .

(٢) أي: لا يدري من هو راميه.

(٣) الشراك: أحد سيور النعل التي تكون على وجهها.

وعبَّى رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفّهم، ودفع لواءَه إلى سعد بن عُبادة، ورايةً إلى الحُباب بن المُنْذر، ورايةً إلى سهل بن حُنيف، ورايةً إلى عَباد بن بشر. ثم دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وأخبرهم: إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءَهم وحسابُهم على الله.فبرز رجلٌ منهم وبرز إليه الزُّبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه الزبير فقتله، ثم برز آخر فبرز له عَليٌّ رضي الله عنه فقتله، ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله، ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله، حتى قتل رسول الله ﷺ منهم أحدَ عشرَ رجلاً ، كلما قُتل رجلٌ دعا من بقي إلى الإسلام. ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلي رسول الله ﷺ بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله،فقاتلهم حتى أمسوا وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رُمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنوة، وغنَّمه الله أموالهم وأصابوا أثاثًا ومتاعًا كثيرًا.

وأقام رسول الله ﷺ بوادي القُرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى، وترك النخل والأرض بأيدي اليهود وعاملهم عليها. فلما بلغ يهودَ تيماءَ[1] ما وطيءَ به رسول الله ﷺ خيبر

(١) تيماء مدينة تقع شمال المدينة على بعد ٤٢٠كم تقريبًا– المغانم المطابة في معالم طابة– ١/ ٢٠٢.

وفدك ووادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم [1].

في هذا الخبر مواقف وعبر فمن ذلك:

أولاً: قول النبي ﷺ في« مدْعَم »« والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم يصبها المقسم تشتعل عليه نارًا » فيه عبرة للمعتبرين، فليس المطلب الوحيد لدخول الجنة أن يُقتل المسلم على يد الأعداء، وإنما قبل ذلك لابد من الاستقامة على أمور الدين، فلابد من التقوى وهي أداء جميع الواجبات واجتناب جميع المحرمات، وقد يُكفِّر الله تعالى بالشهادة وغيرها من الأعمال الصالحة صغائر الذنوب كما في قول الله تعالى ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ١٣] وقول الرسول ﷺ «الصلوات الخمس والجمعة إلى

(١) مغازي الواقدي: ٩/ ٧٠٩ – ٧١١، وأخرج خبر مَدْعم الإمامان البُخَارِيّ ومسلم، صحيح البُخَارِيّ، رقم: ٤٢٣٤، كتاب المغازي، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم: ١١٥.

الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفِّرات ما بينهن إذا اجْتُنِبَت الكبائر»[1] لكن الذنوب التي لها علاقة بحقوق الناس لايكفِّرها إلا إعادة الحقوق لأصحابها مع التوبة النَّصوح. ولقد استفاد من هذه العبرة أحد الصحابة، وكان قد أخذ من مغانم خيبر سيورًا من الجلد وضعها شراكا أو شراكين لنعله، وكان قد استهان بها فلما سمع كلام النبي ﷺ أتى بها، فلم يستَهنْ بها النبي ﷺ بل أفاد بأنها على حقارتها توصل صاحبها إلى النار، وفي هذا موعظة بليغة في احترام حقوق المسلمين وعدم التهاون بشيء منها.

ثانيًا: في هذا الخبر مواقف جهادية في مجال المبارزة لكل من الزبير بن العوام، وعلي بن أبي طالب، وأبي دجانة سماك بن خَرَشة ﷺ، وهؤلاء الثلاثة من الذين تتكرر مواقفهم في المبارزة في مواقف عديدة، فكم أدخلوا على إخوانهم المسلمين من السرور بانتصارهم على أقرانهم! وكم أدخلوا من الغم واليأس على أعدائهم المحاربين!

(١) صحيح مسلم، الطهارة، رقم: ٢٣٣ ص: ٢٠٩.

فهرس المصادر والمراجع

تاريخ الطبري / للإمام محمد بن جرير الطبري .

دلائل النبوة / للحافظ أبي بكر بن الحسين البيهقي .

سنن الترمذي / للحافظ محمد بن عيسى الترمذي .

صحيح البخاري / للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .

صحيح مسلم / للإمام مسلم بن الحجاج القشيري .

الطبقات الكبرى / لمحمد بن سعد بن منيع .

موسوعة ألف مدينة إسلامية / لعبد الحكيم العفيفي .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الخروج إلى خيبر	٧
مثل من اللجوء إلى الله تعالى (الوصول إلى خيبر)	١١
مثل من حصانة الصحابة في الحروب النفسية	١٤
(إرجاف اليهود بالمسلمين)	
موقف حزم وخبرة من عباد بن بشر	١٦
بدء القتال وفتح حصن النطاة	١٨
إسلام يسار الحبشي	١٩
فتح حصن ناعم وموقف لعلي بن أبي طالب	٢٢
فتح حصن الصعب بن معاذ	٢٧
فتح حصن قلعة الزبير	٤٠
فتح حصن أُبَيّ	٤٣
فتح حصون الكتيبة والوطيح والسُّلالم	٤٤

الموضوع	الصفحة

مثل من قوة الإيمان (خبر الأعرابي المجاهد) ٤٧

فتح فدك وموقفان لمحيصة بن مسعود وعبد الله بن رواحة. ٤٩

فتح وادي القرى وتيماء ٥٤

فهرس المصادر والمراجع ٥٩

فهرس الموضوعات ٦١